



الدروس الرهيب

بقلم: عبد الحميد عبد المقصود
بريشة: عبد الشافي سعيد



المؤسسة العربية للتحفة

الطبعة الأولى: ١٩٩٩

الطبعة الثانية: ٢٠٠٠

الطبعة الثالثة: ٢٠٠١

الطبعة الرابعة: ٢٠٠٢

رحل أرنبٌ العجيبُ لفترةٍ في سفرٍ طويلٍ ، طاف خلاله
القرى ، والبلدان البعيدة ..

وعلم تغلوبٌ بذلك ، فعرف أن الجو قد خلا له ، فآخذ يصول
ويجول على هواه ، طالما أنه لا يوجد من يتصدى له ويوقفه عند
حده ، حتى تحول فجأة إلى طاغية جبار ، فرض الرعب على أهل
قريته والقرى المجاورة .. فلم يدع شخصاً إلا ضربة أو اهانة
وكأنه وحشٌ عسير ..



وضح الجميع بالشكوى من تصرفات تغلوب ، ولكن
احدا لم يستطع ان يردعه ..
واخيرا عاد ارنوب من رحلته الطويلة ، فعلم بما فعله
تغلوب في اثناء غيابه . وقرر ان يلقنه درسا لا ينساه
ابدا ؛ ليكون عبرة لمن تسول له نفسه ان يحدثوا حذوة ..
وسمع تغلوب بان ارنوبا قد عاد من سفره ، وانه
يتحداه فلم يغيبا بذلك ..



بل سنخر منه قائلاً :

- ومن يكون هذا الصعلوك ، حتى يتجرأ على أن يتحدثني ؟
لو تسامحتُ معه اليوم ، فلن يتورع عن نسّ يده في جيبي
غداً ، ولن يتورع عن نسّ أنفه في كل كبيرة وصغيرة من
شئون حياتي .. أنا الآن سيد القرية ، بلا منازع ، ولن أسمح
لهذا الصعلوك بأن يهزّ هذه الصورة التي رسمتها في أعين
الجميع في أثناء غيابه ..

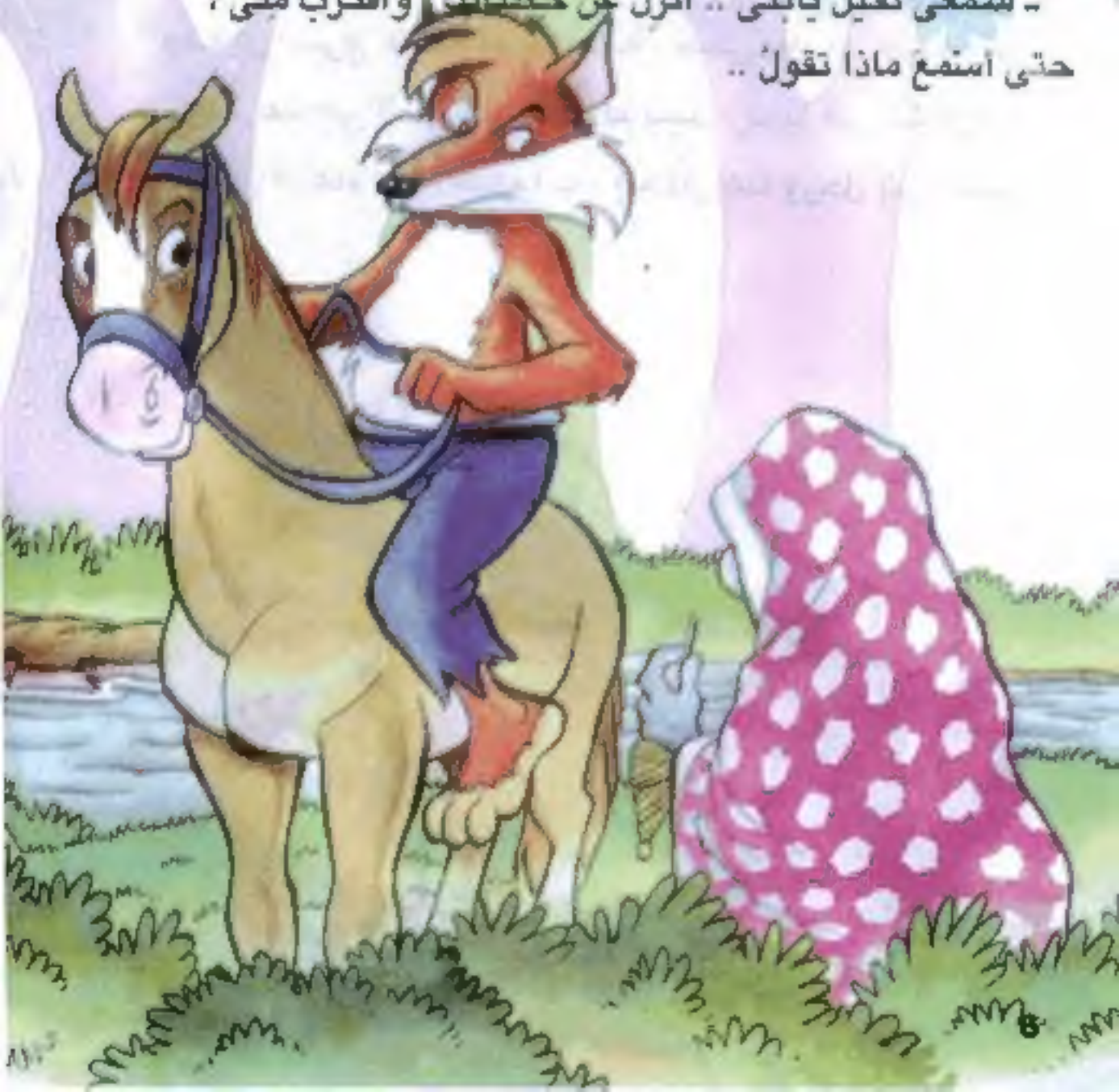


وظل تغلوب يهذي بهذا الكلام ، حتى أرسل أرثوب
من يخبره بأنه ينتظره عند المزرعة ، فصاح تغلوب
أسرّجوا لي حصاني فوراً ، لأريكم من يكون أرثوب هذا ،
سوف أعود به منزوع الفرو كالارنب المستلوخ ..
وما أن أسرّج الخدم له حصانه ، حتى طار به على وجه
السُرعة إلى المزرعة ، لكنه لم يجد أرثوباً في انتظاره ،
فسال الرعاة عنه ، فقالوا له : إنه كان هنا ورحل إلى النهر



وطار تغلوب بحصانه ، حتى وصل إلى النهر ، لكنه لم
يجد أرثوياً ، بل وجد بدلاً منه سيّدة عجوزاً محتيئة الظهر ،
وهي تمسك في يدها مغزلاً وتغزل صوفاً ، فسأها تغلوب :
- أينها العجوزُ القانيّة ، يامن تغزلين الصوف ، ألم يضر
عليك أرثوبٌ من هنا ؟

فهزت العجوزُ رأسها ، وقالت :
- سمعي ثقيلٌ يابئني .. انزل عن حصانك واقربي مني ،
حتى أسمع ماذا تقول ..



فَنَزَلَ تَغْلُوبٌ عَنْ حَصَانِهِ عَلَى مَضْنَضٍ ، وَاقْتَرَبَ مِنْ أُذُنِ
الْعَجُوزِ قَائِلًا بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ :
- أَقُولُ لَكَ ، أَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْكَ
وَقَبِيلُ أَنْ يَتِمَّ تَغْلُوبُ عِبَارَتَهُ ، جَذْبَتُهُ الْعَجُوزَ بِقُوَّةٍ ، وَالْقَتَّ
بِهِ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ الْقَتَّ عَلَى وَجْهِهِ بِغِطَاءٍ رَأْسَهَا .



وقبل أن يقيق تغلوب من ذُلوله ، أو حتى يتبين ما حدث له ،
سمع قهقهات أرنوب عالية ، وسمع وقع حوافر حصانه ، وهي
تغوص في مياه النهر ، وترش المياه عليه ، فصرخ طالبا
النجدة ..

وفي هذه اللحظة كان أرنوب يغبر النهر على ظهر جواد
تغلوب وهو يضحك ساخرا منه ..



وما إن رفع تغلوبُ الغطاءَ عن وجهه ؛ ليتبين حقيقة ما حدث ،
حتى رأى أرثوياً يقفُ على الضفة الأخرى من النهر ، مُمتطياً
فلهر حصانه ، فادرك تغلوبُ أن أرثوياً قد خدعه واحتمل عليه ،
وأن هذه العجوزَ التي سألها كانت هي نفسها أرثوياً ..
وقال أرثوياً وهو مُستمرٌّ في الضحك :

- هانذا قد هزمتك أيها البطلُ المغرورُ ، فهل تُقرُّ بانقِصاري

عليك ؟



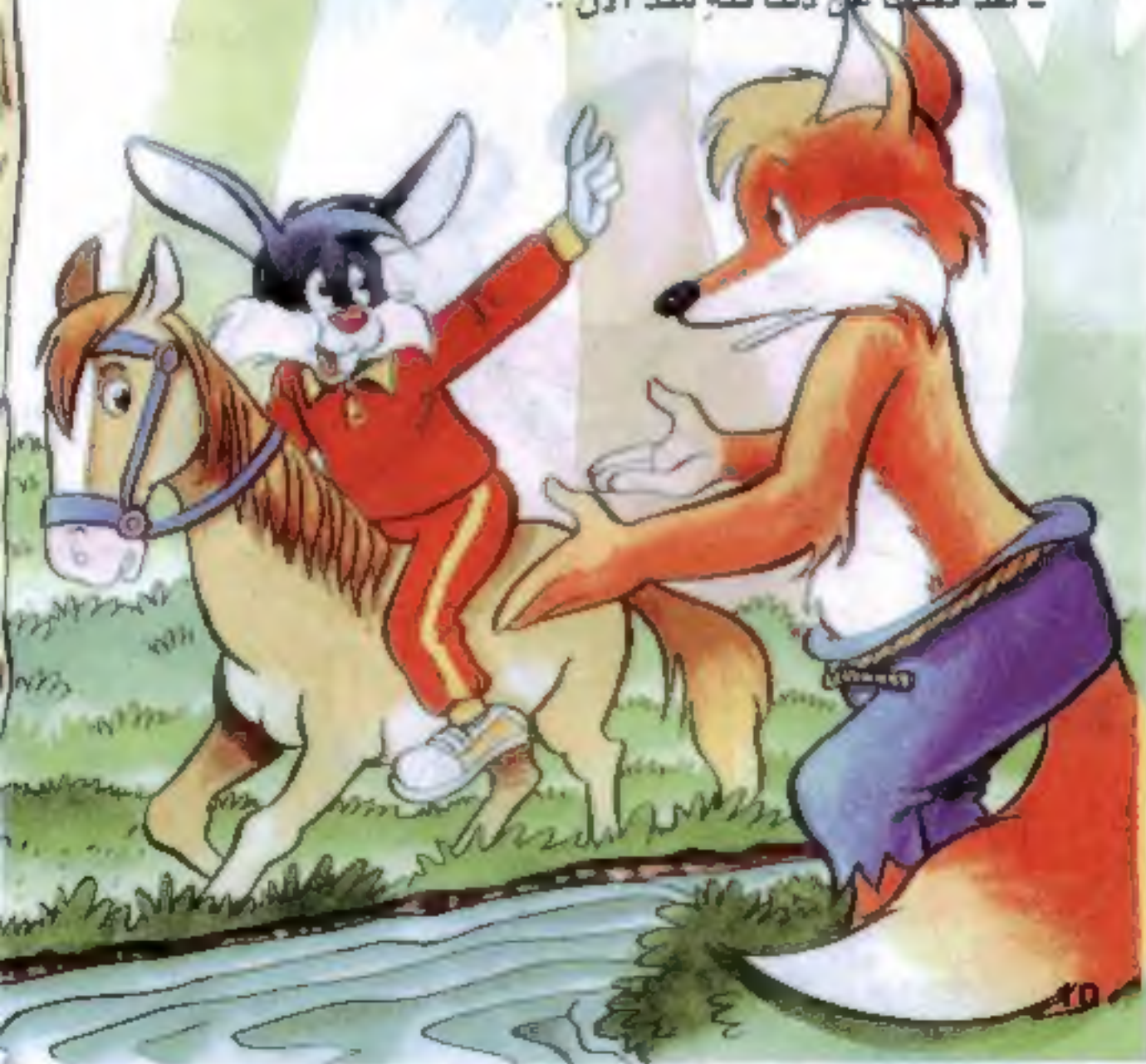
نَكُسْ تَعْلُوبُ رَأْسَهُ فِي خَجَلٍ ، شَاعِرًا بِالْهَزِيمَةِ ، وَقَالَ :
- نَعَمْ .. فَلْتَعُدْ إِلَى حِصَانِي ..

فَقَالَ أَرْنُوبُ :

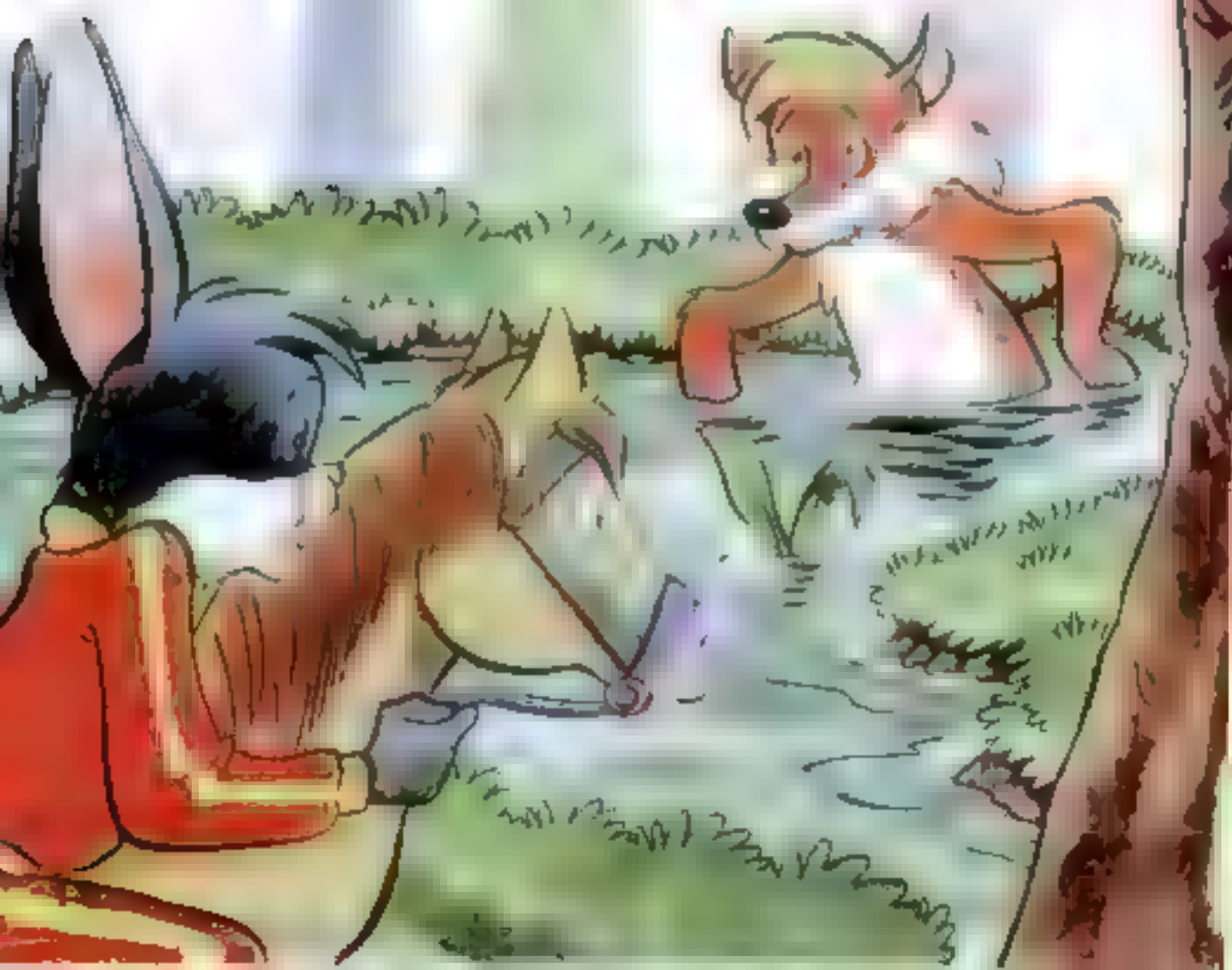
- لَنْ أَعِيدَ إِلَيْكَ حِصَانَكَ ، قَبْلَ أَنْ تَكْفُ عَنْ ظُلْمِكَ وَطُغْيَانِكَ ،
وَتَكْفُ عَنْ إِرْهَابِ الْجَمِيعِ ، وَإِذْلَالِهِمْ ..

فَقَالَ تَعْلُوبُ :

- لَقَدْ كَفَفْتُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مُنْذُ الْآنَ ..



فاستمرّ اربوب في الضحك ، وفل له
انا لست في حاجة إلى حصالك إذا كنت تريد ، فهي اعتر
النهر سباحة لتأخذه
وبدا تغلوب في حلق حدائه ، ومعطفه النمين ، ثم وضعهما
على شاطئ النهر ، والقى بنفسه في المياه ساجدا إلى الصفة
الأخرى ..
وتعرض خلال ذلك للسعات المياه الباردة ، لكنه تحمّل في
صبر وجلد ..



وما إن وصل تغلوب إلى الضفة الأخرى ، وأصبح على
الشاطئ ، حتى ألهم أربوب ظهر الحصان بسوطه ، خائضاً
به المياه ، فعر النهر في لحظات إلى الضفة الأولى ، التي تزل
عندها تغلوب ملاسنة

ثم جمع ملاس تغلوب وحذاءه على مهل وربطها في صرة ، ثم
ودّع تغلوباً ساخراً منه بقوله :

- إلى اللقاء يا بطل ..



واختفى أرنب بحصان تغلوب وملايسيه في لُنج
الْبَصَر، واضطُرَّ تغلوبُ إلى البقاء فترةً طويلةً على النهر،
مُنْتَظِرًا ظهورَ أحدِ معارفه؛ ليأتى له بملايسيه وجذائيه، لكنْ
لسوءِ حظِّه لم يَمُرَّ أحدٌ على شاطئِ النهر، حتى الظهيرة، فلَمَّا
حميت الشمسُ، اضطُرَّ إلى السَّيرِ حافيًا على الأشواك والتُّربةِ
المُلتَهبةِ..



أما ازئوب فإنه عندما اقترب من القرية ، علق ملابس تغلوب
وحذاءه في رقبة الحصان ، وأطلق سراحه ، فأتخذ الحصان
طريقه إلى منزل تغلوب عبر شوارع القرية ، ودروبها فكان كل من
يراه يظن أن تغلبا قد هلك وأن الجميع قد استراحوا من طغيانه
وظلمه إلى الأبد ..



وعند الغروب عاد تغلوب إلى القرية حافيا عاريا ،
وقد تسلخت قدماء من السنير ، وأصيب رأسه
بضربة شمس ، وصار كل من يراه يستخر منه ، حتى
صار عبرة لمن تسول له نفسه أن يسلك سلوكه في
الظلم والجبروت ..



وقد تغير سلوكك تغلوب بالفعل إلى الأحسن ، لكن ظلت هناك لحظات كان يعود فيها إلى الظلم والجبروت ، لكن أهل القرية كانوا يذكرونه بما حدث له على يدى ارنوب ، فكان يثوب إلى رشده ، ويكبت الرغبة فى البطش بداخله .. فهل سيستمر على ذلك طويلاً ، أم أنه سوف يعود إلى طبيعته المتتمرة ..

(تمت)

